أصالة التجديد في درس العقيدة

الدكتور عمار جيدل

كلية العلوم الإسلامية ــ جامعة الجزائر

فرشة البحث:

الحديث عن الأصالة و التجديد في درس العقيدة، ــ و لاحظ جيدا لفظ درس ــ يفيد مركزية مناهج البحث في التقويم، دلك أن للحديث الأصالة و التجديد في درس العقيدة علاقة عضوية بالمناهج البحث في دراسة العقيدة الإسلامية،إذ القول في الأول قول في صميم الثاني،أي أننا لا يمكن الفصل بين التجديد في الدرس و التجديد في مناهج البحث،من هدا المنطلق سيكون حديثنا عن الأصالة و التجديد في درس العقيدة حديثا عن مناهج البحث في دراسة العقيدة.

مسألة تدافع المناهج في درس العقيدة يدور في أصل وضعه في البيئة الإسلامية على الأصالة و التجديد قبولا ورفضا، لهدا يعد تحديد الموقف منهما تحديدا لموقفنا من مختلف مناهج بحث العقيدة الإسلامية.

نقصد بالمناهج في هدا السياق مناهج بحث موضوع العقدية وبالتالي فالجوانب الفنية(التقنية)مبعدة من هدا البحث لأنه لم يرم إلى تحقيق القول فيها، إط هي ألصق بالعلم مستقل يعرف بعلم مناهج البحث.

الأصالة و التجديد في مناهج البحث :

مدار مصطلح الأصالة على الأصل،وأصل لغة أوجد له أصلا، وأصل

الشيء ما ينبني عليه غيره،وهو بهذا المعنى أيسر فهما خاصة وأنه يستصحب مقابله(الفرع) في عملية التفهّم.

لا شك أنّ للأصالة من حيث المضامين مستويات متنوّعة، يرجع بعضها إلى العناصر الأساسية في أصل الخلقة، ويرجع بعضها الآخر إلى مضامين العقيدة الإسلامية المبثوثة في الأصلين.

لهذا يفرض القول بأصالة الدرس التساؤل عن مستويات الأصالة هل هي في العناصر الخلقية (بكسر الخاء)أم في المستويات المعرفية؟فالمستوى الأول غير المستوى الثاني، وإن كان المستوى الثاني مذّكرا بالمستوى الأول بداهة، ذلك أن الخلقة -الفطرة -من بين عناصر التذكير والحجة في درس العقيدة في أصل وضعه النصي من جهة ومقصدا مهما من مقاصد العقيدة الإسلامية من جهة أخرى.

يفرض الحديث تفصيلا عن المستويين المشار إليهما أعلاه، بيان المراد بالتجديد ليتسنى لنا الحكم بأصلة المسعى أو عدم أصالته، فما هو التجديد؟ وما بينات أصالة التجديد؟

1/ التجديد:

تجاذبت هذا المصطلح مجموعة من التيارات المتشاكسة، ويظهر هذا التناقض في أصل تصوّر المراد بالتجديد ومقاصد الخوض فيه معرفيا واجتماعيا بل وحضاريا، وجماع تلك الأقوال لا يخرج في الغالب عما يأتي:

1 ــ تحديث النص وتحيينه: التجديد عند هذا الفريق تحديث مضمون العقائد بما جادت به العقلية الحديثة([1]). ويقتضي أن يكون منهج البحث في

[1]/أن يعقلن عناصر كثيرة من العقيدة الإسلامية...أنظر أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية/ترجمة هاشم صالح 171

العقيدة وفق ما جادت به قرائح الحداثيين، وبالتالي كل ما له صلة بالتقديس والمقدس، وبها تضيع العقيدة أهم خصائصها.

2 ـ تطوير العقيدة بوضع أركان جديدة قوامها العقل، والشهادة، و الأخلاق الحسنة، و...، وبهذا يتميّز عن الدين العتيق المؤسس على الصيام و الصلاة والزكاة والعمل بكتب الفقهاء([2])، ولإفراط هذه المجموعة في منابذة الفقهاء أطلق عليهم الرافعي اسم المبددين([3]) وهم أحرى باسم المبدلين.و يتلخص منهج البحث عندهم في منهج عقلاني صارم يسلم نفسه لمسلك الغالب معرفيا وتكنولوجيا وعسكريا، وإن كان لنا مقال في درجة عقلية من حيث هو ،أي هل هو عقل محرر الإرادة غير مسوق بأحكام مسبقة؟ الواقع يبين أنه عقل مكبل بالإيديولوجيا.

3 ـ تمكين التقليد بالانكفاء على خبرات الأسلاف،والاكتفاء به في التعامل مع الدين والتديّن، وقد سماه ابن باديس الإسلام الوراثي([4])،يقول رحمه الله:" الإسلام الوراثي هو الإسلام التقليدي الذي يؤخذ بدون نظر و لا تفكير وإنما يتبع الأبناء ما وجدوا عليه الآباء)"...

والمنهج عند هؤلاء لا يخرج عن الأنماط الآتية في الغالب الأعم:

*/ المنهج الكلامي في دراسة العقيدة(على تنوع مشاربه)، ورغم ما له من محامد فإنه جعل العقيدة نصا جافا لا صلة له بالقلب والمجتمع.

*/المنهج الحرفي في دراسة العقيدة الإسلامية (الإخباري، الحنبلي،...)، وهو كسابقه له من المزايا ما لاينكر، ولكنه جعل العقيدة الإسلامية أقوالا جافة لا خشوع فيه.

---

[2]/أنظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر/منحمدمحمد حسين 2/190-209، والنكير على منكير النعمة من الخلافة والأمة/شيخ الإسلام مصطفى صبري

[3]/الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر 2/247

[4]/اثار ابن باديس 'نشر وزراة الشؤون الدينية)4/123

*/ المنهج الروحي(الصوفي): وقد هذا الفريق العقيدة مسألة قلبية لا علاقة لها بالأداء الحضاري والفكري في الأمة، فأنجزوا بحوثا منقطعة المثيل في شؤون أمراض القلب ولكنه أغفلوا أمراض الأمم.

و قد كان هذه المسالك- بمجموعها- سببا في تغييب المضمون القرآني للعقيدة، واحتل مكانه موروث كبير الحجم أبعد أحيانا المضمون الإنساني للعقيدة نفسها، فأصبح السؤال المركزي في الدرس مربوطا بما تقول في قضايا الخلاف أكثر من السؤال عن المطلوب منا تجسيده في العقيدة، فتحولت العقيدة إلى معارف تحشى بها الرؤوس ويباهى بها في المجالس، دون أن يكون لها أي أثر في صناعة الوعي وأنسنة التصرفات، و قد كان هذا المسلك للأسف المنهج عاما في الأمة الإسلامية و السمة العامة لكل أنواع درس العقائد في العصر الحاضر(المسجد، والجامعة والزاوية و الحوزة)...

4 ـ توظيف العلوم الحديثة، الاستجابة للمعطى(العلمي) وتوظيفه في صياغة درس العقدية، فصيغ الدرس وفق ما جاد به الدرس التجريبي الحديث بغرض تجاوز الدرس العقدي المربوط بالكلام، وقد حدا بهم هذا المسلك إلى إلصاق كل النقائص بعلم الكلام فإليه ـ حسب تقديرهم ـ يعود ما أصاب المسلم من عدم فعالية و استقالة اختيارية عن المساهمة في صناعة الحضارة، وهيمنة السلبية في كل شؤونه...وهكذا انتهى هؤلاء إلى وجوب رمي كتب الكلام في البحر.

فوقعوا من جرّاء ذلك في فكرة البداية الصفرية، والتي مؤداها إلغاء كل جهود المتقدمين، والتأسيس لمنهج جديد قوامه الدليل التجريبي على صدق

العقدية([5]).

مبنى التشاكس السابق الاختلاف في مناهج دراسة العقيدة الذي مبناه على الاختلاف في مفهوم التجديدفي درس العقيدة الإسلامية، فما هو التجديد؟، وما حقيقته في درس العقيدة الإسلامية؟

أصالة التجديد:

قبل البدء يحسن بنا موضوعيا بيان أصالة التجديد في الفكر الإسلامي عموما، لنخلص بعدها إلى أصالته في درس العقيدة الإسلامية.

معلوم أنه لا يقبل موضوعيا فرض معايير من خارج النسق القرآني نفسه على مضامينه، سواء في مضامينه المعرفية أو رؤيته الاجتماعية في إطار شموليته المستشفة من بينات النص ذاته، لهذا سيكون القرآن والسنّة الصحيحة عمدنا في إثبات أصالة مسعى تجديد درس العقيدة.

تجليات أصالة تجديد درس العقيدة:

تتجلى أصالة التجديد المشار إليه أعلاه في مستويات متنوعة، تتظافر في مجموعها للدالة على صحة ذلك المسعى.

أول تلك المستويات دلالة العبارة، وثانيتها مفاد الإشارة... نتوقّف عند هذين المستويين نظرا لطبيعة الملتقى العلمي.

مستوى العبارة:

ورد في الأصلين ما يدل بنفسه على أن التجديد مطلوب شرعا وعقلا وواقعا،فألفاظ جدد ، وتفكّر، وبلّغ، ودعا، و....تدل معانيها المعجمية على

---

[5]/ أنظر الإسلام في عصر العلم/محمد فريد وجدي، أنظر تعريف لعمل الكلام في دائرة معارف القرن العشرينا أنظر مناقشة هذه الأفكار في كتاب موقفالعقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين/مصطفى صبري

المتعلق الذي يجب شرعا تجدده، والتفكّر فيه، وتبليغه، والدعوة إليه كما هو في كلياته الضامنة لمقاصده،لا كما يراد فرضه على المبلّغين والمفكرين و الدعاة،و....

1/ لفظ جدد:

ورد اللفظ في السنة النبوية المطهّرة، التجديد لغة من جدّد يجدّد تجديدا، وتجدّد الشيء صار جديدا، وجدّده واستجدّه صيّره جديدا([6])، وواضح أن لفظ جدد يتعلّق بسابق يكون موضوع التجديد، و لا يكون كذلك إلا إذا كان متناغما مع المضامين المعرفية و المقاصد الحضارية والاجتماعية والتربوية والفكرية...للمجدد(بفتح الدالين)، ومن خلال الانسجام معها سيكون مستجيبا للتحديات الاجتماعية والحضارية والفكرية و التربوية....

يؤكّد هذا المعنى قول النبي "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"([7]).

وبناء على ما ورد في الحديث عرّفه أحد العلماء([8]) بقوله: "**التجديد يعني إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها**"

"**العمل**" هو اللفظ المركزي في التعريف لهذا كان أهم ما انصبت عليه جهود المجددين على الجوانب العملية التنفيذية في حياة المسلم، بشقيه المحافظ على بقاء الدين في الأنفس أو ما يحمي أصل الدين من الاندثار، لهذا فالتجديد عمل على " نهضة الأمة لإصلاح واقع ضعفها والتخلف في مجتمعها، والتخلّص من كل العوائق التي تجعلها مقصرة عما توجبه عليها

---

[6]/الصحاح /الجوهري 454/2

[7]/أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب ،عن أبي هريرة

[8]/شرف الحق محد أشرف في كتابه عون المعبود في شرح سنن أبي داود178/4

عقيدتها...من صلاح وتقدم يؤهلها لقيادة البشرية وهدايتها إلى رسالة الإسلام وطريقه المستقيم"([9])

وبهذا يظهر أن للتجديد في العقيدة الإسلامية مفهوما خاصا.

2/ تتفكروا:

تدل صيغة تتفعّل على تكرر وتجدد الفعل،لهذا فصيغة تتفكّر تدل على تكرر التفكّر وتجدده، وبهذا الصدد، يذكر العلامة ابن باديس في ثنايا استشهاده بقوله تعالى:" قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا"، أن هذه الآية جديرة بأن تدعى آية النهوض الإنساني ...فقوله تعالى(تقوموا) القيام هنا النهوض من جميع وجوهه،لا القيام على الأرجل...وقوله تعالى(لله) لإن النهضة إذا كانت لغير الله لا تخلو من ضور يعود على نوع الإنسان من وجهات شتى،...إلى أن يصل إلى قوله تعالى(تتفكروا) فيقول :" في هذا الأسلوب الذي أفاد أن أساس النهضة هو التفكير المتجدد" ([10])

والتفكر بهذه الصيغة عام يشمل التفكر في المناحي الآتية:

*/ المضمون المعرفي للإسلام

*/الأبعاد الوظيفية أو المقاصدية للدين الإسلامي

*/الآليات المتخذة في تبليغ الأمرين السابقين.

فالتفكير فيها من أجل إصلاحها يفرض محاكمتها إلى الواجب تبليغه منها، ولحمة دلك وسداه المذكر به(القرآن والسنة المطهرة)

3 / التذكير :

يفيد التذكير أن المذكّر به مركوز في النفس الإنسانية، لأنه بمثابة بعث

---

[9]/عبقرية التجديد في فكر الشهيد عبد القادر عودة/توفيق الشاوي،مجلة التجديد/العدد الثالث، فبراير 1998/شوال 1418هـ /ص 213-214

[10]/اثار ابن باديس-منشورات وزارة الشؤون الدينية-4/47-48(بتصرف)

لأصل مبثوث في النفوس البشرية،و ما يزيده التذكير إلا ترسيخا في الفكر والقلب، كما أنّه يدل بنفسه على أن الأمر المذكّر به مستقل عن ذات المذكّر(بكسر الكاف) والمذكّر(بفتح الكاف)، مما يستوجب القول بأن المطلوب هو سمو أو ارتقاء المذكّر إلى مستوى الذكر، مما يدفعه باستمرار إلى نشدان تمثّل مضامين الذكر، و كلما ازداد منه قربا ازداد إحساسا بالتقصير تجاه دينه وبالتالي تجاه مجتمعه، وبهذا تنمى قدراته الإيمانية بمضامينها المتجلية في الموقف الاجتماعي.

4 /بلغوا ،أدع:...

لا تختلف هده الألفاظ من حيث المتعلّق عن الألفاظ المشار إليها أعلاه، فهي تفيد بنفسها أن المبلّغ(بفتح اللام) والمدعو إليه، مستقلين عن المبلّغ والمدعو، فقصارى ما تطمح إليه تلك المطالب الشرعية أن يرتقي الإنسان إلى مستوى البلاغ و الدعوة الإلهيين، بمعنى أنّه مطالب بتطوير قدراته الإيمانية إلى مستوى الخطاب الإلهي، ...

الألفاظ المبيّنة آنفا وغيرها-مما يندرج في سلكها- تدل على أنّ المتعلّق بالتجديد و التذكير والتفكّر والبلاغ والدعوة و...مطلوب مستقل عن الذات المخاطبة من الناحية المعرفية والمضامين الاجتماعية والحضارية وإن كان مذكّرا لما جعل في أصل خلقتها، لهذا فهو ليس من قبيل حوار الذات بما في الذات، بل هو سعي للترقي بالذات إلى مستوى أرقى وأعلى كلما سار الإنسان نحو رتبة أعلى في الترقي ازداد إقرارا بالتقصير، مما يدفعه إلى شحذ الهمم وتطوير القدرات بما ينفعه ومجتمعه في العاجل والآجل.

5/التحاكم إليه:

فهم فكرة التجديد في إطار وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله(لقوله تعالى :" **فلا وربّك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا**

يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"(**النساء 65**)، يقتضي استصحاب التجديد في إطار التحاكم،يبيّن هذا المعنى قول مالك بن أنس " إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة، وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ("[11])

بيّن مما سبق تقريره أن المتحاكم إليه له حقيقة مستقلة عن الذات المحاكمة (بكسر الكاف) والمحاكمة(بفتح الكاف)، لهذا فمن بين مضامين التجديد مراقبة للذات من زاوية امتثالها لما طلب منها التحاكم إليه في جوانبه المختلفة.

مستوى الإشارة:

وقد تكون أشبه بالعبارة في الدلالة على المراد: لعل من أهم ما يمثّل له في هذا المقام.

حفظ الذكر:

ورد في القرآن الكريم أن الله تكفّل بحفظ كتابه من الزيادة والنقصان،قال تعالى:" **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**"(**الحجر 9**) مما يبيّن أنّ للمحفوظ أهمية كبيرة في حياة المسلم، المعرفية والاجتماعية،فلحفظه يحتكم إليه فيما طرأ على الفهوم من انحراف وعلى السلوك منم اعوجاج...ذلك أنّه " محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير،...ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، ...ومعناه أيضا، أنّ الله متكفّل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة ل لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ("[12])

[11]/ محاسن التأويل/جمال الدين القاسمي ، المجلد الخمس 291

[12]/مجمع البيان الطبرسي 14/14

و ما دام حجة دائمة فالتجديد يقتضي الاحتكام إليه من حيث المطلوب المعرفي و التمثّل الوظيفي، وبهذا فالتجديد الثابت يحتكم إلى الثابت المفهوم من وجوب الاحتكام إلى القرآن الكريم،و من ثمّ يكون التجديد سعيا إلى الترقي إلى مستوى مضامين النص المعرفية
و الارتقاء بالذات لتمثّل مضامينها الاجتماعية و الحضارية.

محددات التجديد:

تستقى تلك المحددات من نصوص الإسلام كتابا وسنة، لهذا لا نفرض على العقيدة الإسلامية قيودا من خارجها، بل نرمي إلى أن يكون النص متناغما مع نفسه بما وضعه من أسس معرفية ومقاصد حضارية واجتماعية، وبهذا نتجاوز فكرة تقييد النص بما لا ينسجم وطبيعته في بعديها المعرفي و الحضاري.

المحددات باعتبار الموضوع:

1/ التركيز على المناحي العملية، العقيدة مشروع للتنفيذ وليس للمطارحة

2/ الشمول الذي يقتضي اندراج كل أصناف الفعل الإنساني فيها

المحددات باعتبار المصدر:

الالتزام بما وردت به النصوص الشرعية كتابا و سنة، في إطار نسق الفقه المقاصدي للعقيدة الإسلامية المؤسس على لغة التنزيل، وهذا يقتضي التساؤل عما "...طلب منا لا ماذا قال لنا" لأننا نريد أن نجسّد الإسلام في حياتنا.

المحددات باعتبار الأسلوب:

العقيدة الإسلامية قناعة عقلية وخضوع قلبي يدفع صاحبه للتفاعل

الإيجابي الرحب، وهو بهذا الصدد حركية مستمرة يحسّ صاحبها بـللتقصير في جنب اللهمما يدفعه إلأى الاستزادة من أبواب الخير.

مرتكزات التجديد

1/شمولية الإسلام: لهذا فكل تجديد، يتوخى منه أصحابه،تجزئة الإسلام أو إبعاد الناس عن دينهم موضوعيا مرفوض([13])، مـــهما كـــانت الآليـــات المتّخذة والذرائع المتوسّل بها.

2/رفض التجزيء في فهم الإسلام فكل تجديد يقصر الإسلام على جزء منه، تجديد قد يفضي في أحسن أحواله إلى صياغة غير متوازنة لشـــخصية المسلم.

3/كل تجديد يختصر هدائية الإسلام في إشاعة الجدل علـــى حســـاب العمل مناهض لطبيعة العقيدة الإسلامية

4/ الاستطلاع إلى تمثّل النص كتابا وسنة وفق لسان التنزيل.

مضمون التجديد في مناهج دراسة العقيدة الإسلامية

الفن الذي تدور عليه كلمتي هو العقيدة الإسلامية، فما المقصود بالعقيدة الإسلامية في سياق هذه الورقة؟

المعلوم أن لهذا المصطلح مستويات عدّة-من حيث كونه مصطلحـــا- تتعلّق أساسا بالتفريق بين المضامين والآليات في الدرس العقدي من جهـــة، ومستويات التجديد في كل جزء منها، وعلى العموم يمكن أن نوجزها فـــي فيما يأتي:

---

[13]/يقول أركون: تطبيق الدراسة النقدية عليه(الخطاب الإسلامي)يعني زعزعة أركـــانت هذه السوازع الشرعية عن المؤسسات فتثبيط همة المناضلين السياسيين ..لاحظ جيـدا أن هدفه هو زعزعة ثقة الناس وليس الدراسة، والبون شاسع بين الهدفين..أنتظر متابه الانـــف الدكر 89

1/المستوى الأول: المتعلق بالمضامين

يطلق المصطلح على موضوع العقيدة الإسلامية نفسه(الإلهيات ،النبوات، السمعيات وفق مصطلح المتقدمين أو الإلهيات والنبوات والإنسانيات،و ...وفق مصطلح المتأخرين)، و يوضحه قول المصطفى فيما أخرجه البخاري في صحيحه: عنْ أَبي هُرَيْرَة قال كان النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليْهِ وسلَّم بَارزا يوْما للنَّاس فأَتَاهُ جبْرِيلُ فقَال ما الْإِيمانُ قال الْإِيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائكَتِه وكُتُبِه وبلقَائه ورُسُلِه وتُؤْمنَ بالْبَعْث

ولا شك أن تعلق التجديد والأصالة بهذا الباب غير تعلقها بسائر المستويات،لهذا فهل التجديد في هذا المقام كالتجديد في سائر المقامات الأخرى؟ المهم في هذه العجالة التفريق بين مستويات مصطلح العقيدة.

2/المستوى الثاني :المتعلق بأبعاد المضامين أو الوظيفة الحضارية للعقيدة

يراد بلفظ العقيدة فعل الاعتقاد، فيقال فلان عقيدته سليمة طيبة، فهل يراد به في هذا السياق نفس موضوع العقيدة أم يراد به شيئا آخر زائدا على ذلك؟

يترجم هذا المعنى ما نقل عن النبي (فيما أخرجه البخاري في صحيحه " عنْ أنس رضي اللَّهم عنْهم قال قال رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّهم عليْه وسلَّم ثلاثٌ منْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الْإِيمان أَنْ يكُون اللَّهُ ورسُولُهُ أَحبَّ إِليْه ممَّا سواهُما وأَنْ يُحبَّ الْمرْء لا يُحبُّهُ إِلَّا للَّه وأَنْ يكْره أَنْ يعُود في الْكُفْر كما يكْرهُ أَنْ يُقْذَف في النَّار *

وورد في حديث آخر أخرجه البخاري أيضا:" عن أَنس بْن مالك رضي اللَّهم عنْهم عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهم عليْه وسلَّم قال ثلاثٌ منْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الْإِيمان أَنْ يكُون اللَّهُ ورسُولُهُ أَحبَّ إِليْه ممَّا سواهُما وأَنْ يُحبَّ الْمرْء لا

يُحبُّهُ إلّا للّه وأنْ يكْره أنْ يعُود في الْكُفْر كما يكْرهُ أنْ يُقْذف في النّار *بـــاب إفْشاء السّلام من الْإسْلام وقال عمّارٌ ثلاثٌ منْ جمعهُنّ فقدْ جمع الْإيمان الْإنْصافُ منْ نفْسك وبذْلُ السّلام للْعالم والْإنْفاقُ من الْإقْتار *

و فعل الاعتقاد -كما هو بيّن من دلالات الألفاظ-يتعلّق أساسا بما يطرأ على قلب المعتقد بفعل العقيدة من آثار نفسية وتصرفات اجتماعية يرى أثرها في الواقع المعيش ،فإذا كانت العقيدة في المستوى الثاني بهذا المعنى ،فـــهل تعلّق التجديد بها كتعلّقه بالمستوى الأول؟

يؤكد التساؤل أننا بصدد تأصيل فكرة مهمة مفادها التفريق الموضوعي بين مستويات المصطلح من حيث دلالاته على النص أو التفاعل مع النـــص بما يوافق النص أو يخالفه.

3/المستوى الثالث: المتعلّق بالآليات

يراد بالعقيدة الآليات المتخذة في التأسيس للعقيدة نفسها، ولعل من أهـم الوسائل المعتمدة، الشواهد والأدلة على صحتها وبراهنها النظرية و العمليـة كما يقول عبد الحميد ابن باديس،فيراد بها في هذا المقـــام الحجـة اللغويـة بوسائط علمية جديدة ،كالاستدلال عليها بما جادت به عقـول المحتجيـن أو المحتج عليهم .

ونقصد بالعقيدة في هذا السياق المنتج المعرفي النابت على ضفـــاف المرافعة عن نص العقيدة في جانبيها المعرفي و السلوكي، فإذا طرأ الخلـــل على التصوّر النظري لأصل العقائد أو التمثّل العملـــي لمضامينـــها وجـب التفكير في بعث أو تصحيح المحتوى المعرفي بأبعاده الواقعية المتجلية فـــي الموقف من المشهد الثقافي واللحظة الحضارية الراهنة، وأساس كـــل ذلـك ومحرّكه أصل الاعتقاد المنسجم مع العقيدة نفسها، لذلك فهو المرجـــع فـي المقارنة بين الموقف المطلوب و الموقف الموجود، أو إن شئت هو محاكمـة

ما هو كائن بما يجب أن يكون.

لا ريب أن تعلّق التجديد والأصالة بهذا المستوى تختلف عن تعلّقها بالمستويين السابقين، إذ باختلافهم أمكن القول بتمايز تعلّق التجديد بكل مستوى منها.

فما هي مختلف مستويات الأصالة والتجديد في درس العقيدة الإسلامية.وهدا يفرض علينا تناول المسألة من الزوايا الآتية :

1/ التجديد بالنسبة إلى المستوى الأول من مصطلح العقيدة

2/ التجديد بالنسبة إلى المستوى الثاني من مصطلح العقيدة

3 /التجديد بالنسبة إلى المستوى الثالث من مصطلح العقيدة

التجديد بالنسبة إلى المستوى الأول من مصطلح العقيدة

دلّ الإسلام في أبجدياته أن مصدر عقائده هو النص، فلفظ الشهادة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) مبناها على الإقرار بأن الرسول مبلّغ عن الله -رسول الله- و هذا بنفسه دليل على أن العقائد مصادرها التبليغ عن الله، ولا طريق لإثبات ذلك بغير الوحي، لهذا قال ابن القيم : "العقل سلطان ولّى النقل ثم انعزل"

و يقتضي هذا الفهم الابتعاد عن التأويل أو ما يقرب منه، رغبة في التوفيق بين الإسلام و الثقافية القديمة أو الحديثة، ذلك "لأن للإسلام ذاتية مستقلة يجب أن تعرض وتجلى حتى تعرف أصالتها"

ولعل من أهم مظاهر توظيف هذا المسلك بناء العقيدة على النصوص القطعية وأبعادها الوظيفية، وإرجاع ما أبعد منها إلى وضعه الأصلي من حيث الموضوع والمعالجة، فيكون الانتساب الإيماني أساس درس العقيدة.

وتطرح بهذا الصدد الخبرة المعرفية العقدية الملحقة بالنسبة إلى البعض بالنص المقدّس و إن كانت من منتج الخبرة تفهما وتمثّلا،كالخلاف في

الصفات الخبرية او ما يعرف بهذا الاسم وفق رأي جماعة من الدارسين، قد يكون راجح الأقوال رأي من الآراء ولكن لا يمكن أن يقال أن في الرأيين المتعارضين في المسألة حق وباطل.

يقتضي التجديد في هذا المقام التمييز بين ضربين من نصوص العقيدة ، فالأول الصحيح نقلا و القطعي دلالة ، والثاني خبرات المتقدمين في دراسة العقيدة،و الأول مقدّم كما هو معلوم، ويقتضي هذا التمييز الاقتصاد في ألفاظ التضليل و التفسيق وما شابههما أو قرب منهما،و قد ورّثت الغفلة عنها آثارا وخيمة على دراسة العقيدة أولا والمواقف المترجمة لها ثانيا، فقد كان المسلمون ومازالوا يعيشون المذهب قبل الدين، حتى إذا سئل أحدهم عن دينه كان جوابه معبّرا عن مذهب، ذلك لأنه يعيش المذهب قبل الدين، وقد وصل ببعضنا الأمر أن أصبح المذهب مانعا من أسلمة الوجه لله تعالى التي تعني فيما تعنيه الولاء الكامل لله تعالى قبل الحديث عن المذهب، لأننا باختصار " متعصبون ولسنا ملتزمين ولسنا مستعدين للاقتناع"([14])

و يمثّل الشق الثاني العناصر الاجتهادية في درس العقيدة، وقد عبّر عن تلك الزوايا الاجتهادية كثير من القدماء والمحدثين،منها قول ابن تيمية:" و الذي نختاره أن لا نكفّر أحدا من أهل القبلة، والدليل عليه أن نقول: المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة فيها، مثل أنّ الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بالذات؟ وأنه تعالى هل هو موجد أفعال العباد أم لا؟ لا يخلو أن تتوقّف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقّف، والأول باطل إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدّين لكان الواجب على النبي 'صلى الله عليه وسلم) أن يطالبهم بهذه المسائل، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل، بل ما جرى في هذه المسائل في زمانه ، ولا في

[14]/الندوة /محمد حسين فضل الله 573-575

زمان الصحابة والتابعين ، علمنا أنّه لا يتوقّف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول ، وإذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في الإسلام، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة"([15])

و قال محمد الغزالي السقا:"تسللت إلى العقائد المقررة أفهام وأوهام من صنع الناس لا يعرفها القرآن الكريم ولا يقرها وحسبنا كلام الله "...، وورد عنه في مقام التمثيل لهذه الأفهام السقيمة والأوهام المضللة "خذ مثلا مبحث الصفات الإلهية أهي عين الذات أم غير الذات أم لا عين و لا غير ؟وهذا تساؤل يجب دفنه ومنع اللغط فيه...وقال أيضا في سياق مثال آخر "خذ مثلا أعمال الناس أهي من خلقهم أم من كسبهم، وهل هم مخيّرون أم مجبورون ؟، وينهي كلامه معلقا "هذه الأسئلة بالغة السخف، والمشتغلون بها هاربون من مستشفيات المجانين، ومن قال لا عقل لي ولا إرادة فعلاجه العصا."([16])

تمكين مسلك التمييز بين الأصول والفروع في العقيدة يسمح لنا يتجاوز الإقصاء المتدثر بالموضوعية والأكادمية والرمي بالماضوية والسلفية أو العقلانية أو...،كما يؤسس للتعايش الاجتماعي والمعرفي بين مختلف المناهج في البيئة العربية والإسلامية،لأنه طريق ميسر للتعايش والاعتراف بالمنهج الآخر،إنه أيسر سبل نفي النفي في بيئتنا الإسلامية، وليس منذعنى ذلك أن نتبرّع بالحب والولاء كل من إدعى الانتساب ،ذلك أن للإسلام –من حيث هو –حقيقة مستقلة تظهر آثارها في أداء الاجتماعي والحضاري ،فكل من عمل على تجليتها والعيش بها ولها في بيئته هو منتي وأنا منه.

---

[15]// درء تعارض العقل والنقل /ابن تيمية، اختصره وقدم له أ.د محمد سيد الجليند 74

[16]/ الإسلام والثقافة العربية في عالمنا الجديد/الزالي ،مجلة أسلمة المعرفةو العدد السابع 146مجلة أسلمة

2/ التجديد بالنسبة إلى المستوى الثاني من مصطلح العقيدة

يتناول المستوى الثاني فعل الاعتقاد، وتطويره وتحسين مستوياته يوجب النظر في مقاصد العقائد،لأننا بالاحتكام إليها نرتقي بأدائنا إلى المستوى المطلوب تجسيده من العقيدة نفسها، وهنا يحسن التنبيه إلى النقاط الآتية:

أ/ معلوم أن للعقائد مقاصد جلية توخّت النصوص الشرعية تحقيقها،و تجمعها محوريّة العقيدة ومركزيتها في تحريك حياة المسلم نحو الأفضل في دنياه وأخراه،لأنها كانت ومازالت وستبقى عنصرا جوهريا في حياة المسلم(، فما من شأن من شؤون المسلم الاجتماعية و الحضارية والتربوية والنفسية و الثقافية إلا وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بعقيدته التي تشكّل أساس نظرته للكون والحياة وصوغ علاقته بالإنسان بصفة عامة.

فقد كانت مقاصد العقيدة الإسلامية محرّكا فعالا في إصلاح الأخلاق حال استصحابها في التعامل مع الواقع المعيش، وخاصة في حال الاستحضار العقلي والقلبي لتناغمها مع شموليته، و تجلياتها في التعامل مع الدنيا والآخرة ،والعقل والقلب، و الرجال والنساء و...إنه رسالة لكل الإنسانية.

من هذا المنطلق يجب أن يعاد الولاء للإسلام كتوجه حضاري عام شامل لكل مناحي الحياة، يقول أحد العلماء :" أنا أشعر حين آكل بأن الله هو الذي وضع اللقمة في فمي، وحين أفكر بأن هو الذي أسرج مصباح عقلي بأني يستحيل أن أسوي بين مؤمن وكافر ، أو أشترك مع عابد عجل أو عابد نفسه وحدها في عمل ما لرفع مستوى البشر...([17])"

وقد تجسّدت تلك المقاصد في العمل على تحقيق العمل على تمكين الولاء الحضاري للإسلام من الزوايا الآتية:

---

[17]/ الغزالي مرجع سابق 150

/*الولاء للإسلام كتوجه حضاري هدفه إصلاح الإنسانية وإنقاذها من الظلم بالعدل ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ينبغي أن ينظر إليه من جهة كونه"ينظم شؤون البيت والشارع، والمدرسة والديوان، وعلاقات المرء بنفسه والآخرين، وواجباته في الحرب والسلم، وضوابط المعاملات الاقتصادية الرحبة"([18])

(، خاصة "وقد عرف القريب والبعيد أن الإسلام نظام متكامل، وأن إنفاذ بعض تعاليمه مع غيبة البعض الآخر لا يقيم مجتمعا إسلاميا(

(،لأن الإسلام" ليس نظاما من سائر الأنظمة المعروضة ليختار منها المسلم ما يشاء، ويهمل ما يشاء، وإنما هو نظام منبثق رأسا من عقيدة التوحيد ومعبّر عنها في واقع الحياة الاجتماعية([19]).

/*ضرورة توجيه الطاقات إلى البعث الحضاري بتمكين الولاء للإسلام من النفوس، وبهذا الصدد تطرح مسألة "الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة"([20])، وسينتج عن ذلك العمل تجاوز تخلفنا الذي كان بعيد المدى بفعل التفرقة التي مزّقت جماعتنا وأذهبت ريحنا وأحبطت سعينا([21])

/*إن هيمنة الولاء الحضاري لدى المسلمين سيقضي لا محالة على التعصب وعلى تقديم المذاهب عن الولاء لله ، إنّه الانتساب الإيماني الذي يجعل كلمة مسلم تعيش العمق من عقولنا، تجعلني أعيش مسؤولية الانتماء

---

[18]/ معركة المصحف/ الغزالي339

[19]/الغزالي من هنا نعلم 29-32

[20]/ خطب الغزالي في شؤون الحياة/قطب عبد الحميد 15

[21]/ مجلة أسلمة المعرفة -مرجع سابق-181

والانتساب الإيماني، وتبعدني عن العيش في التاريخ أو بالتاريخ،(كما سيتحقق بهذا الولاء العمل على تمكين الإسلام بجميع أبعاده الوظيفية التي تنسحب على جميع ميادين الفعل الإنساني، فيجب أن يظهر الولاء في الأداء السياسي والاجتماعي مثل ظهوره في العبادات الفردية إذ الهدف تحقيق مطالب شرعية تعدّ في حقيقة الأمر من أبعادها الوظيفية الضرورية([22])

/*وقوام كل ذلك الولاء للعقيدة الإسلامية على المستوى الفردي،وسماته القيام بالواجبات الشرعية دون خوف أو خجل أو خضوع لضغوط الواقع الفكري أو السياسي، و بذلك نجعل الإسلام وجهة التحضّر([23])، لأنه ضابط تصرفاتنا ومانحها الإنسانية في الإجراءات والأهداف([24]) ويحقق فينا فاعلية الذود عنه وحراسة بيضته،لأن الحقائق الدينية عندنا لا تنفك أبدا عن أسباب صيانتها ودواعي حمايتها، فهي مغلفة بغطاء صلب يكسر أنياب الوحوش إذا حاولت قضمها، وذلك هو سر السر في بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها.

جعل الولاء لله تعالى حراسة الحق أرفع العبادات أجرا،أجل فلولا يقظة أولئك الحراس وتفانيهم ما بقي للإيمان منار، ولا سرى له شعاع...فقد كان الولاء لله تعالى ومازال يغري بالاستماتة في إعلاء كلمة الله و نصرة الدين أعظم من هذا الإغراء.

الولاء لله تعالى "هو سياج الذي يحمينا في الدنيا كما ينقذنا في الآخرة" إن فقد الولاء يعني انهيار المقاومة المؤمنة والتمهيد لمرور العدوان الباغي دون رغبة في جهاد أو أمل في إستشهاد...وطريق تحقيق ذلك" التربية

---

[22]/فضل الله مرجع سابق 574،575،576

[23]/قذائف الحق/الغزالي 233

[24]/المرجع السابق 230

المغالية بدين الله، المؤثرة لرضاه أبدا و الولاء له أولا و آخرا، تلك هي التربية التي تحمي كياننا وتمدنا بعناصر المقاومة([25])

/*يفرض الانتماء للإسلام،العمل على الحيلولة دون " تمويت الإيمان في ضمائر الأفراد ، بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة، فينحرف هذا وتنكمش تلك، ويصبح المجتمع مسرحا للمباذل المستقرة والأهواء المطاعة والتيارات الطائشة، ثم يتحول ما بقي من دين إلى أشكال فارغة و بدع حقيرة لا تغني عن أصحابها شيئا"

/*تمكين العقيدة من القلوب يحقق الانتماء إلى الإسلام شكلا ومضمونا، إذا كان الولاء بمثل ما ألمحنا إليه، فما السبيل إلى بعثه وتمكينه من المجتمع.

/2التجديد بالنظر إلى المستوى الثالث:

يركز التجديد في هذا المقام على بيان درجة مواكبة الآليات المعرفية لمقاصدالعقائد، إضافة إلى بيان مركزية اللسان العربي وفق ما كان عليه في عصر التنزيل،كما تحاكم الوسائط المتّخذة إلى مقاصد العقائد أيضا،فكل ما أفضى إلى تضييع الطبيعة العملية العقيدة فهو مبعدج آليا من مصاف الآليات، و بهذا الصدد ننبّه على النقاط الآتية:

رفض الغلو في العقل أو ضده:

الغلو في العقل مفض إلى إقحام العقل في مسالك لا يحسن الخوض فيها، بل لا يملك الآليات التي تسمح له بالخوض في مسائل لا قبل له بها، لهذا يجب على العقل أن يعقل نفسه فلا يخوض فيما لا قبل له به،لهذا إذا صحّ النقل وجب على العقل التسليم، تسليما عقليا.

كما أن القضايا التي رام العقل البشري بحثها و أكثر حولها الجدل لا

[25]/ المرجع انلسابق 201-203

قبل لها –من حيث – بالجوانب الهدائية من العقيدة نفسها، إذ لو بحثها بمنطق التنقيب عن الهدائية لامتنع من التوغّل فيها لمجرّد التأكّد من ابتعادها عن ذلك الهدف،بل إن الخوض فيها قد أفضى منذ أمد بعيد إلى تغييب هدائية العقيدة في نصوصها وقد كرّس هذا المسلك ضياع الأصول و الفروع على حد سواء.

الغلو في العقل لا يقل شناعة عن الغلو ضد العقل، لأنّه سيفضي إلى وصم العقيدة الإسلامية بمصادمة العقل،العقل الذي هو شرط في التكليف لأنه شرط في العلوم، ومن لا عقل له لا علم له ولا دين، ورد عن الشاطبي أنّ في القرءان الكريم ضرب من الأدلة حجة على الموالف .

و لعلّ من أهم ما ترمي إليه العقيدة الإسلامية تحرير الإنسان تحريرا عقليا، لأن الإدراك أساس الإرادة والحرية الفكرية أم الحريات الأخرى،وهي أس أساس المسؤولية الاجتماعية بجميع مضامينها.

و تمكينا لتلك المفاهيم حذّره من أمرين مكبّلين للحرية الفكرية المعبّرة عن التحرر العقلي، التقليد والهوى.

التجديد في طريقة العرض

نتوخى من خلال الحديث عن عرض مسائل العقيدة،تناول مجموع مسائل العقيدة ومقاصدها، ويتجلى ذلك في المنهج،والأسلوب،والشمول،والمجال الاجتهادي.

1– الجانب المنهجي:

يجمع في هذا المنهج المتوازن بين مخاطبة العقل والقلب في درس تعليم العقيدة،لأن تغليب أحد المسلكين على الآخر يؤسس إما لإفراط أو تفريط في بعض المضامين على حساب الأخرى.

وقد أنتج المنهج المبني على أحدهما (العقل أو القلب) ما لا طائل منه

من المتدينين.

و زبدة القول في هذا المقام أنّه ينبغي أن يكون المنهج استدلاليا تذكيريا ي ذات لحظة التبليغ،يعرض في قالب متكامل يبصّر المسلم بالرؤية التوحيدية للعالم كلّه

2ـ جانب الأسلوب:

يطلب أن يتّسم درس العقيدة بالسهولة والبساطة واليسر، وقوة الحجة في مقارعة المذاهب العقدية المستحدثة حتى تظهر مقاتلها دون انغماس في جو الجدل أو الإغراق في الرد عليها وعلى شبهها أو الاستجابة لاستفزازاتها، لأنها قد تكون مطبات منصوبة لصرف طاقات المسلمين فيما لا طائل منه، و الأدهى من ذلك أن ينتبه المسلمون إلى القضايا التي يصنعها الآخر في البيئات الإسلامية، بمعنى يجب أنْ لا تصرفنا المطارحة والحوار عن الغاية الأساسية المتمثّلة في عرض حقيقة العقدية الإسلامية()المتجلّية في مقاصدها المعبّرة عن هدائيتها.

3ـ جانب الشمول :

يراد بالشمول الحديث عن جميع مظاهره في العقيدة الإسلامية. ، فهي مادية روحية،دنيوية وأخروية، شاملة باعتبار الموضوع و المخاطبين، محورها مضمون نص العقيدة، إذ هو أصل ميع التكاليف الشرعية، ذلك أنها عنصر أساسي في التشريع الإسلامي بوجه عام، لهذا كان الكيان العقائدي الإسلامي بشقيه المادي والروحي أس أساس كل تغيير وتصحيح([26])

تجليات أصالة التجديد:

/*نص العقيدة مستمد في أصله من القرآن الكريم و السنّة المطهرة.

---

[26] أنظر النظام الاجتماعي في الإسلام/محمد الطاهر بن عاشور 35،9، وخصائص التشريع في السياسة والحكم/فتحي الدريني25،71

/*العبارة في التجديد والتفكّر والتذكير والتبليغ والدعوة ...دالة بنفسها على أصالة مسعى لتجديد.

/*مقتضى التجديد مقارنة الموجود إلى المطلوب ليتسنى تحسين الأداء الاجتماعي والمعرفي، ورأس ذلك جعل القرآن الكريم والسنة المطهّرة دافعا للاستدراك و قوامه، وهو عملية مستمرة تشمل مراجعة المضمون وطريقة عرضه زيادة إلى مراقبة المسلم لنفسه من جهة تمثّله لأبعاد العقيدة الإسلامية في تصرفاته بصفة عامة، مراقبة للنفس من جهة ترجمة شمولية الإسلام في جميع التصرفات الفردية والاجتماعية.

/*حفظ الكتاب من الزيادة والنقصان مؤكد لفكرة الاحتكام إليه بوصفه آلية ومقصدا مهمين في التجديد، إذ بحفظه كان مرجعا في الحكم على ما هو كائن إلى المطلوب تجسيده.

تجليات المنهج المقترح في دراسة العقيدة:

بناء المقترح يتخذ من الفرشة مقدمة رئيسة في الخطة، لهذا سنستصحب تلك المعطيات في صياغة المقترح

***/ المستوى الأول: التجديد بالنسبة للموضوع:**

-/ التمييز بين ضربين من نصوص العقيدة الإسلامية

+/ الأصول التي تبنى عليها العقيدة الإسلامي وهي من حيث ذات وظيفة إنسانية في حياة المسلم(الإيمان بالله وملائكته ورسله....)وبها يكون الولاء والبراء.

+/النصوص الملحقة بالأصول ،فهذه يجب أن تكون سببا في حجب المسلمين عن العيش بالانتساب الإيماني،فالاختلاف يفها لايفسد للود قضية، وبهذا سيكون التمييز بينتها سببا في نفي النفي بين المسلمين الرساليين.

***/المستوى الثاني: الأبعاد الحضارية للعقيدة:**

-/استحضار مقاصد العقائد في صياغة الدرس فتظهر جوانب:

+/ الهدائية كمقصد رئيس من الدرس.

+/التمكين للولاء لله تعالى قولا وعملا.(جميع مظاهر الفعل الإنساني)

+/أن يعمل المدرس على البيان العملي لمظاهر الهدائية في نفسه، وألى مظاهرها القيام بالواجبات الشرعية، وجعل الإسلام وجهة التحضر.

-/تجنب النفي والإقصاء من خلال التأسيس للاعتراف المتبادل.

*/المستوى الثالث: الآليات

-/التساؤل عن درجة مواكبة الآليات لمقاصد العقائد أو مصادمتها لها.

2/محاكمة الآليات والوسائط إلى هدائية الهدائية العقيدة في إطار لسان التنزيل

3/مركزية لسان التنزيل في القتويم والتمحيص

4/رفض الغلو في العقل أو ضده

5/رفض البداية الصفرية بالتأسيس التراكمن المعرفي في صياغة دروس العقيدة يفيوظف علم الكلا والتصوف

وبهذا يكون الدرس المقترح **هدائيا مقاصديا في أصل وضعه تراكميا في أسلوبه ومسالك تبليغه**، وبالتلي وحريا بنا أن **نسميه المنهج المقاصدي في دراسة العقيدة الإسلامية**.